صلى الله عليه وسلم فقالوا هل من آية نعرف بها أنك رسول الله فهبط جبريل فقال يا محمد
قل يا أهل مكة أن تحتفلوا هذه الليلة فسترون آية فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالة
جبريل فخرجوا ليلة أربعة عشر فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة فنظروا
ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ثم أعادوا النظر ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا فقالوا يا محمد ما هذا إلا
سحر ذاهب فأنزل الله اقتربت الساعة وانشق القمر وجزم العراقي أن انشقاقه وقع مرتين
وتعقبه تلميذه ابن حجر بأنه لا يعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيح وبأن من روى مرتين أراد فرقتين وفي رواية
فلقتين بالفاء واللام والبدر وهو القمر ليلة أربعة عشر قال في الفتح وظاهر النقل أن الشق كان
تلك الليلة وليس في أحاديث شيء يصرح بذلك قلت ينبغي هذا مع الحديث الذي بغير الزبير
أخرجه أبو نعيم كلاهما من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وفي الأول وكانت ليلة بدر ما
تقتضي ما في الفتح وفي الثالث التصريح بذلك والله أعلم وهذه الآية من أمهات معجزاته صلى الله
عليه وسلم لظهورها في ملكوت السموات ولما أرسل أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله تعالى
رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له إنه من أجل علماء الإسلام أمر بعض بطارقته ليناظره
فقال له تزعمون أن القمر انشق لنبيكم فهل بينكم وبينه قرابة حتى ترونه انشق دون غيركم
فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب إذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس
الذين أنكروها وهم بجوارك فأفحم ولم يحر جوابا. وإنما جوزي صلى الله عليه وسلم بشق القمر لأنه
شق صدره الشريف ثم أخرج قلبه المطهر فشق وغسل بماء زمزم مطهرا ومن شاركه كل شريك ومنع في
أبي نعيم مقصود أن يكون الجزاء من الله مجازاة به فجوزي هنا بشق صلى الله عليه وسلم على شق
صدره ثم شق قلبه برا فشابه له في الصورة وهو إكرامه بشق القمر له عند ما طلب الكفار منه آية
ولما روع صلى الله عليه وسلم بشق صدره وقلبه الشريف بعد الجرح وما حصل له من الخوف والانزعاج جوزي

على

على ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو أعظم آية وأبهر ما بعد القرآن
وفي البيت الجناس التام بين شق وشق إذ هما مختلفان معنى وحقيقة ولا يقدح فيه كون الأول
حقيقة لغوية والثاني حقيقة لغوية كما هو بين شق وشق في صدر البيت وهو أن يتفق اللفظان
في الحروف والعدد والهيئة ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
واعترض بأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى وأن لا يكون أحدهما حقيقة
والآخر مجازا إلا أنه حقيقتين معا وزمان الساعة وإن طال هو عند الله في حكم الساعة الواحدة
فإطلاقها على القيامة مجاز وعلى الآخر حقيقة وذلك يخرج الكلام من التجنيس كما لو قلت ركبت
حمارا ولقيت حمارا يعني بليدا إلا أن يقال إن ما في النظم بخبر ما ذكرته وهو أن الشق في الموضعين
بمعنى ويتسلم الاختلاف أحدهما حقيقي والآخر مجازي لأنه نقول شق الأجرام الجمادية غير شق
الأجرام الحيوانية وأيضا شق القمر شقاه مدركه وشق الصدر إزالة غشاوة فقط وكفى بهذا اختلافا
ثم المتبادر من كل منهما أنه حقيقي قال بعضهم وليس من الجناس التام في القرآن غير هذه الآية
واستدرك عليه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني بأنه وارد في يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار إلى لعبرة
لأولي الأبصار فالأولى للعيون والثانية للبصائر وقد يشعر فيه بأن الأبصار في البصائر مجاز وقد يجاب
بأنه حقيقة عرفية قال ابن حجر في موضع آخر بعد نقل ما تقدم بتغيير ما وعلى كل ما قيل في القرآن
آية أخرى أظهر من تلك وهي يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
فالأول ما كتبوه بأيديهم المذكور في فويل للذين يكتبون الكتاب والثاني في التوراة والإنجيل والثالث
في الجنس الشامل لكتب الله كلها أي ما هو من شيء في كتب الله والله أعلم ومن محسنات البديع
في أبياته التشابه أنه صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وغزوة خيبر رمى أعداءه بالحصا اسم جمع
وأمر ... الفاعلين ما هرأى فهم جيشا عظيما كانوا غالبوا عليه حتى كاد الكلأ
أنهم لا يبقون أمرا للمسلمين يقال أفصل الصحابة إذا أحاب فقتل مكانه وبيان ذلك أنه لما التقى

Copyright © King Saud University